الحلقة (١١)

٧- بقي عنصر أخير وهو الدراسات السابقة فقد تكون الدراسات السابقة رسائل علمية، وقد تكون كتبا، وقد تكون أبحاثا محكمة، وهي أنواع مختلفة ولكنها تعد دراسات سابقة لأنها تطرقت إلى موضوع الباحث، وتناولته إما أن يكون تناولها له تناولا شاملا أو تناولا جزئيا في جانب من الموضوع، فهذه الدراسات السابقة يحسن الاطلاع عليها **لماذا ؟** تلافيا للتكرار وللتداخل مع هذه الدراسات، فهذه من العناصر المهمة التي ينبغي للباحث إعطاءها أهمية خاصة عند اختيار الموضوعات.

بعد أن يمسح الباحث هذه الأوعية المتنوعة ويصل إلى قرار بأنه سوف يختار بحثاً في هذا الموضوع سيأتي إلى:

المرحلة الأولى: أن يحرر عنوان بحثه، لابد أن يصيغ عنوان بحثه وأن يراعي فيه عدة أمور:

١- أن يكون هذا العنوان دقيقا في دلالته بحيث لا يقصر على الموضوع ولا يزيد عنه، لا يقصر على الخطة ولا يزيد عليها، ستكون الخطة متوافقة مع العنوان، من قرأ العنوان أدرك بحسه العلمي ما يمكن أن يندرج تحت هذا العنوان وما لا يمكن أن يندرج تحته.

٢- أن يكون مختصراً قدر الإمكان، لكن لا يكون اختصاراً مخلاً ولا تطويلاً مملاً، فبعض العناوين تكون طويلة بشكل عجيب، وبعضها تكون مختصرة فتقصر عن التعبير.

٣- أن يكون العنوان علمياً، لا يكون عنواناً صحفياً يطلب الإثارة أو يكون بطريق سؤال أو نحو ذلك لابد أن يصاغ العنوان صياغة علمية دقيقة.

فهذه شروط ثلاثة: أن يكون علميا: أن يكون محكما، أن يكون موجزا دون إخلال.

فلابد بعد أن يصوغ العنوان ستأتي صياغة الخطة، لأن هذا العنوان للبحث هو الكلية الكبرى الذي ستفتت إلى كليات أصغر، وكل كلية ستتفتت إلى كليات أصغر حتى يستغرق أجزاء البحث على ما سيأتي رسمه في الشكل، سيقسم هذه الكلية إلى أبواب، والأبواب تقسم إلى فصول، والفصول إلى مباحث، والمباحث إلى مطالب، والمطالب إلى مسائل، والمسائل إلى فروع، فهكذا يبدأ من الكلية الكبرى إلى الجزئية الصغرى بشكل مترابط ومتماسك.

إذاً كأن هذا يوحي لنا بأهمية الخطة، لماذا هي مهمة ؟

أولا: أنها تعطي الباحث السيطرة على بحثه، والوعي بحدوده (شمولها لعناصر الموضوع واستيعاب جوانبه بحيث وضحت حدود البحث، فتتضح له حدود الموضوع فلا يخرج يمنة ويسرة، وإنما يسير وفق هذه الخطة جزئية جزئية حتى ينتهي منه، فأول فوائدها أنها تحدد إطار البحث فلا يسير الباحث بطريقة غير صحيحة.

ثانيا: تيسر على الباحث جمع مادته العلمية وضبطها، فهو لن ينساح وهو يبحث في المصادر العلمية، وإنما يكون كمن عرف قصده، كمن ذهب إلى السوق ليشتري شيئا معينا، فهو ذهب إلى هذا المصدر لكي يأخذ مادة معينة تتطابق مع هذه الجزئية أو تلك، فتكون الخطة هي الحاكمة له في أثناء بحثه عن مادته العلمية في المصادر المختلفة، فلا يجمع ما هب ودب وإنما يجمع ما يحتاج إليه في جزئيات بحثه.

ثالثا: منع التكرار والازدواجية سواء التكرار والازدواجية على مستوى المادة العلمية أو التكرار والازدواجية على مستوى البحث نفسه، فإذا وضعت موضوعا معينا تحت جزئية معينة لن تعيده وتكرره تحت جزئية أخرى، ولو فرضنا الباحث ما وضع له خطة فربما وقع في هذا التكرار وفي هذه الازدواجية، يبحث الموضوع ثم يعود ويبحثه مرة أخرى وهكذا.

رابعا: تحقيق التوازن في دراسة الموضوع، الموضوع مكون من أبواب، والأبواب فصول، والفصول مباحث، وهكذا، فلا بد أن يكون بينها توازن في العرض والبحث والكتابة، يكون هناك اتساق وتوازن فيها، لو لم يكن هناك تقسيم للبحث لما حصل هذا التوازن والاتساق.

خامسا: ترتيب الموضوع بحسب كلياته وتفرعه، فالموضوع سيأتي مرتبا، لن يأتي جزافا هكذا، حينما يريد أن يبحث موضوع ما سيبدأ بمفهوم هذا الموضوع ثم أساسياته ثم ينتقل إلى جزئياته وهكذا شيئا فشيئا وسيدخل كل جزئية تحت كلية مناسبة لها يأتي الموضوع مرتبا، هذه من مهمات الخطة، إذاً هذا الترتيب سيعطي للبحث تماسكا بحيث لا يلحظ فيه شذوذا أو اضطرابا أو تناقضات أو تضادات ونحو ذلك، وإنما سيلحظ أن بعضه آخذ برقاب بعض من بدايته إلى نهايته بطريقة إنسيابية متماسكة.

سادسا: توفير الجهد والوقت، لو لم يكن للبحث خطة لَعْتَرى الباحث مشقة كبيرة في إنجاز بحثه لأنه سيشق عليه في جمع المادة العلمية أي مادة سيجمع، ثم حينما يجمع المادة العلمية كيف سيصنفها، ثم كيف سيستفيد منها، وهكذا ستبدو له صعوبات كثيرة جدا لو لم تكن لبحثه خطة، لكن إذا كان لبحثه خطة تزول هذه الصعوبات ويتوفر الجهد ويتوفر لديه الوقت.

بناء على ما سبق من أهمية الخطة كأننا أشرنا أو ألمحنا إلى ضوابط الخطة.

فمن الشروط في الخطط:

أن تكون مستوعبة وشاملة لجميع عناصر الموضوع دون زيادة أو نقصان، يعني نستبعد الزائد ولا تأتي ناقصة، فلابد من الاستيعاب والشمول، فكما قلت عنوان البحث هو عبارة عن كلية، هذه الكلية ستقسم إلى جزئيات كبرى، ثم هذه الجزئيات الكبرى تندرج تحتها الأصغر والأصغر والأصغر وهكذا حتى ينتهي إلى أصغر وحدة، كل وحدات منضودة تحت بعض، للوحدة الكبرى عنوان جامع للكل التي هي الدراسة، ثم لما تقسم إلى كليات أصغر سيكون لكل كلية عنوان مناسب لها، ثم بعد ذلك

جزئيات، لكل عنوان جزئية، فمثلاً كما أن هناك عنوان البحث، الأبواب لابد أن يكون لها عناوين مستوعبة للفصول التي تحتها، الفصول لابد أن يكون لكل فصل عنوانا مستوعبا للمباحث التي تحته، والمبحث يكون له عنوان مستوعب للمطالب التي تحته، والمطلب يكون له عنوان مستوعب للمسائل التي تحته، والمسألة لها عنوان يستوعب فروعها، فهكذا لابد أن يكون هناك استيعاب وشمول في كل جزئيات البحث.

أيضا المسألة الأخرى التي ضد الاستيعاب والشمول: القصور، فحينما الباحث ينطلق من عنوان معين ولكن يلاحظ أنه لم يشمل كل الكليات المندرجة تحت هذا العنوان، أخذ جانبا وترك جانبا، مثلاً لو باحث يبحث عن الصلاة، فجاء وبحث بعض الكليات التي تندرج تحت الصلاة، فبحث عن أركان الصلاة وترك شروطها وواجباتها، ثم تحدث عن سنن الصلاة، وأخيرا ختم الموضوع، فهنا أخل ببحثه ولم يأتِ بكل ما يندرج تحت الصلاة، مع أن المفترض فيه أن يبحث ما الذي يمكن أن يأتي تحت الصلاة، ما المراد بالصلاة، متى شرعت الصلاة، حكمة شرع الصلاة، الصلوات المفروضة والصلوات النافلة، أركان الصلاة، شروط الصلاة، واجبات الصلاة، أوقات الصلاة، وهكذا يفرع فروعا كثيرة في هذه الكلية، لابد أن يستوعب جميع ما تحت الكلية الكبرى استيعابا شاملا دون قصور.

<u>من عيوب الخطط</u> أنها تكون أحيانا قاصرة، ومن عيوبها الأخرى أن تكون أدخلت أمور لا تندرج تحت عنوان البحث.

المسألة الثانية الترابط المنطقي بين عناصر الخطة، لابد أن يكون بينها ترابط، لا أن يكون بعضها يضاد بعض، أو يحس القارئ بأن هناك فجوات بين عناصر الخطة، لابد وأن يكون هناك ترتيب منطقي متكامل لعناصر الخطة.

المسألة الأخرى وقد أشرت إليها من قبل القسمة المنطقية السليمة أنه ينطلق من الكلية الكبرى إلى الكليات الأصغر إلى الجزئيات التي تندرج تحت كلية منها، وهكذا، يبدأ من الأبواب إلى الفروع، قد لا يحتاج، بعض الخطط تحتاج إلى أبواب وفصول، وبعضها إلى فصول ومباحث ومطالب ومسائل وفروع، حسب الموضوع وما يندرج تحته من فرعيات تدق وتدق وتدق يحتاج معها الباحث إلى وضع تقسيمات تحت تقسيمات تحت تقسيمات حتى نهاية الموضوع، فليس كل موضوع قد يحتاج إلى هذه التقسيمات كلها، لا يحتاج كل بحث إلى هذه، بل قد يكتفي فيه بأبواب وفصول فقط، وهكذا، طبيعة البحث هي التي تحكم التقسيم، لكن المهم أن يكون التقسيم سائرا بهذه الطريقة التي يندرج فيها من الكلي إلى الجزئي ثم إلى الفروع التي تندرج تحت هذا الكلي الأصغر والأصغر إلى أن ينتهي إلى الجزئية التي هي أصغر جزئيات البحث.

وهذه هي النقطة الأخيرة من ضوابط وضع الخطة وهي: التدرج من الكلي إلى الجزئي فلا يمكن أن

يضع جزئية ثم يضع كلية تحتها، أو أن يقفز قفزات فيكون هناك فجوات، يذكر كلية ثم يذكر جزئية تندرج تحتها، ولكن هذه الجزئية يجمعها جزئيات أخرى كان بإمكانه أن يضعها في المبحث ثم قسمتها وهكذا.

كيف يضع الباحث خطة بحثه؟

-من أهم الطرق لوضع خطة البحث هو طرح الأسئلة على الموضوع، معنى يكن الموضوع عندك مشكلة، بشكل سؤال، لو جئنا لموضوع الصلاة الذي ذكرناه سابقا، السؤال الأكبر عندك ما الصلاة؟ ماذا تحتوي الصلاة؟ ما محتوياتها؟ ما مضمونها؟ تبدأ في طرح الأسئلة، ما مفهوم الصلاة؟ ما حكمة الصلاة؟ متى شرعت الصلاة؟ لماذا شرعت الصلاة التي هي الحكمة؟ هل الصلاة لها أساسات أو أركان؟ هل يشترط لها شروطا؟ ما الذي يلزم لها من أمور التي هي الواجبات؟ هل الصلاة فيها جوانب مكملة وجوانب أساسية؟ تأتيك المكملات أو الآداب، هل هناك مقدمات للصلاة أو شروط سابقة؟ ما علاقة الصلاة بالإسلام نفسه؟ ما موقعها منه وأهميتها؟ فهنا يأتي الباحث ويضع ورقة أمامه ويبدأ في طرح الأسئلة على موضوعه، طرح الأسئلة كل ما خطر له من سؤال في باله يضع السؤال، سؤال سؤالين ثلاثة، وبعد أن يضع الأسئلة يحاول أن يجيب عليها، مثلاً هل للصلاة أساسات؟ قال أركان الصلاة، واجبات الصلاة، شروط الصلاة.. إلخ.

ثم بعد ذلك ينضد هذه الكليات ويأتي بكل كلية ويتسائل، مثلاً شروط الصلاة ما شروط الصلاة؟ يأتي بالجزئيات التي تحتها، ثم كلية جزيئة يجد أنها تحتاج إلى عمل، مثلاً من شروطها الطهارة، ثم يبدأ يطرح أسئلة على الطهارة، من شروطها مثلاً استقبال القبلة يطرح أسئلة على استقبال القبلة، وهكذا، وسيجد أن هناك جزئيات تخرج له تحت هذه الكلية، وهكذا.

-ثم يبدأ بعد ذلك في ترتيب هذه الكليات ماذا يأتي أولا، هل يقدم بالأركان؟ هل يقدم بالشروط؟ هل يقدم بالسنن والآداب؟ هل يقدم بتاريخ تشريعها ومتى شرعت؟ وكيف شرعت وهكذا؟ ثم يبدأ بترتيب هذه الكليات ويضع لهذه الكليات التي ابتدأت بموضوعه يضع لها أبوابا أو فصولا، ثم يسأل على كل جزئية ويضع لكل جزئية مباحث، ثم هذه المباحث تحتاج إلى مطالب، وهكذا يبدأ الباحث يضع خطته بهذا الشكل انطلاقا من السؤال ثم إعادة الترتيب شيئا فشيئا.

فإذًا النقطة الأولى: نقطة التساؤل وتسجيل عناصر الموضوع بشكل عام عن طريق السؤال أو الأسئلة التي يلقيها على الموضوع بعصف ذهين وانفتاح كامل.

بعد ذلك يحتاج إلى ضبط موضوعه، لأنه عنده معارف سابقة عن الصلاة وعنده أسئلة أساسية، لو فرضنا أن ما عنده معلومات سيبدأ في المرحلة الأولية حتى ولو كان عارٍ عن المعلومات في الصلاة لو فرضنا، لأنه سيأخذ الصلاة بناء، هذا البناء له أساسيات، له مقدمات وتهيئة، له مكملات، له أشياء لازمة، وإن كانت ليست من الأساسات لابد منها، فلو تصورها كبناء ولو لم يكن عنده علم بها

وطرح الأسئلة سيجد أنه يظهر له كليات معينة.

بعد ذلك يرجع إلى المصادر التي تحدد له بالفعل، فمثلاً يرجع إلى ما كتبه الفقهاء عن الصلاة، وينظر كيف رتبوا هذه الصلاة، وكيف تعاملوا مع جزئياتها التي هي كليات وجزئيات تندرج تحت هذه الكليات الصغرى، ويبدأ في هذا التصميم، بمعنى أنه حينما يدرس الجانب الشرعي سيعيد النظر في تسمياته ويسميها بأسمائها الشرعية بعد أن كان أخذها بعصف ذهني باعتبار الصلاة بناء، وما الذي يلزم البناء من أشياء أساسية وضرورية ومكملة إلخ، بعد ذلك يطبق من الناحية الشرعية ويرجع إلى المراجع فيما يتعلق بهذا الموضوع ويستخرج ما قاله العلماء من كليات أَجْمَلَها هُو بمعنى آخر، ويسميها بأسمائها الشرعية ويبدأ في تصميم الخطة، قد يتضح له حين الرجوع للمصادر أموراً أخرى غابت عن باله من خلال التساؤل، وقد يستبعد أسئلة أخرى لا دخل لها بالموضوع وردت عنده، لأن المصادر في الفن هادية لحقيقة الموضوع ولما يمكن أن يدخل تحته وما لا يمكن أن يدخل تحته، فقد يستبعد أموراً ويضيف أموراً أخرى.

بعد أن يتضح له هذا الشيء يعود إلى تصنيف الموضوع إلى مجموعات كلية فيدرج الجزئيات تحت الكليات كما قلنا، مثلاً في الصلاة سيسمي أركان الصلاة، وشروط الصلاة، واجبات الصلاة، وآداب الصلاة، وحكمة الصلاة، وقت تشريع الصلاة، وهكذا، سيحدد أموراً بأسمائها العلمية، ويضع كلاً منها في فصول ثم.....

فهنا لدينا في الخطة خلاصة الكلام: أن لدينا جانبا شكلا فنيا ولدينا جانبا علميا، فالجانب الفني الشكلي أن الخطة لابد أن تسير بنسق معين تبدأ بالكلية الكبرى التي هي العنوان ثم يكون لها مقدمة وخاتمة وبينهما تقسيمات الموضوع، أبواب فصول مباحث.. هذا جانب فني.

الجانب العلمي إعطاء كل باب من الأبواب أوكل فصل من الفصول أو كل مبحث إعطاؤه عنوان علميا يتصل بالموضوع بحيث تأتي خطته متكاملة ومتناسقة بهذا الشكل.

خلاصة الأمر إذًا أن وضع الخطة يستلزم أن يكون فيها مقدمة وخاتمة، ويستلزم أن يتبعها فهارس لدلالة الباحثين على مضامين هذه الرسالة وإمكان الاستفادة منها، ويكون بين المقدمة والخاتمة لب البحث أو تقسيمات البحث العلمية، التي قلنا عنها أن جانب منها شكلي: أبواب، الباب الأول الفصل الأول إلخ.. وتقسيم منها علمي: أن كل باب أو فصل أو مبحث أو مطلب سيعطى عنوان علميا ملائما مندرجا تحت ما قبله، بحيث تأتي الخطة بشكل متسق ومنطقي وجاهزة لتقديم المشروع، طبعا يلزم إرفاق الخطة بمصادر، وسنتكلم عن الأمور التفصيلية في حلقات قادمة، أما ما يتعلق بالوضع العام أو بالشكل العام للخطة فهو ما ذكرته، طبعا المقدمة تحتوي على عدة عناصر لابد من إيرادها في المقدمة، وهذا ما سنبدأ به في الحلقة الثانية عشر القادمة.